الفكر السياسي الغربي في العصور الوسطى دراسة مقارنة مع العصور القديمة

اعداد
د. طارق نجم عبدالواحد

الخلاصة

سيطرت الكنيسة على مقدرات الدول الاوربية لمدة طويلة واصبحت امكانيات اغلب الدول بيد الكنسية كما ان الإمبراطور كان دائما ما يسعى لإرضاء الكنيسة من اجل عدم التصادم معها , إلا ان هذا الامر لم يستمر اذا اصبح هناك صراع بين السلطة الزمنية المتمثلة بالإمبراطور وقيادته للدولة وبين السلطة الروحية المتمثلة بالكنيسة وهذا الامر ادى في نهاية المطاف الى ان عمل الامبراطور على تجريد زعماء الكنسية من كل الصلاحيات واعادتها للإمبراطور .

الكلمات المفتاحية : عصور وسطى , كنيسة , امبراطور

المقدمة

تعتبر العصور الوسطى من العصور التي امتازت بالركود الفكري , نتيجة لسيطرة الكنيسة وهيمنتها على الساحة السياسية وتدخلها في اغلب مفاصل الحياة , فحتى تنصيب القياصرة كان يتم عبر موافقة الكنيسة ورغبتها في تنصيب وخلع من تشاء , وكذلك فقد حوربت جميع الافكار التحررية التي تنادي بالسيطرة الزمنية على السيطرة الدينية , في حين ان الكنيسة ورجال الدين كانوا يدعون الى سيطرة كل منهما وربما في بعض الاحيان يعطون لأنفسهم صلاحيات اوسع من صلاحيات الامبراطور , كذلك تصاعدت الدعوات التحررية في نهاية العصور الوسطى من مجموعة من المفكرين الغرب والذين دعوا صراحة وعلانية لا نقول كلهم وانما اغلبهم الى سيطرة السلطة الزمنية على الروحية اي سيطرة الامبراطورية على الكنيسة وجعل الناس جميعاً متساوون امام القانون .

قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمه , تم التطرق في المبحث الاول الى الفكر السياسي الغربي في العصور الوسطى ودور الكنيسة في الحياة السياسية , والنزاع بين سلطة الامبراطور وسلطة الكنيسة , وادعاء كل من الطرفين في انه الافضل في السيطرة واخيراً انتصار السلطة الزمنية على السلطة الدينية .

اما المبحث الثاني فتناول الباحث فيه ابرز مفكري العصور الوسطى مثل توماس لاكويني ودانتي ومارسيليو دي بادو ورؤية كل منهم الى الدولة ودور السلطة في الحياة الاجتماعية بالنسبة الى عامة الشعب , كذلك رؤية كل منهم الى انظمة الحكم وتقسيماتها ومن هو صاحب الافضلية من وجهة نظر كل منهم بالإضافة الى رؤية كل منهم الى القانون وانواع القوانين , والعلاقة بين الحكام والمحكومين .

وأخيراً جاء في المبحث الثالث المقارنة الفكرية بين فلاسفة ومفكرو العصور القديمة والعصور الوسطى ووجهة نظر كل منهم الى المسائل السياسية والآراء واتفاقهم في بعض الافكار واختلافهم في الاخرى .

تناول الباحث مجموعة من المصادر كان اهمها , كتاب تطور الفكر السياسي لجورج سباين , وكذلك الوجيز في الفكر السياسي للطبقجلي , وكتاب الفكر السياسي القديم والوسيط , لصالح محمد غانم , بالاضافة الى مجموعة مهمة اخرى من المصادر .

المبحث الاول

الفكر السياسي الغربي في العصور الوسطى

سميت العصور الوسطى بهذا الاسم نظراً لانها توسطت العصور القديمة والعصور الحديثة . والحدث التاريخي المهم والذي يذكره المؤرخون والذي يشكل بداية العصور الوسطى هو سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦م , وسميت كذلك بعصور الظلام ورحلة التيه او طور التشكيل نظراً لما ساء فيها من تدهور الاوضاع وركود علمي وفكري .

مرت العصور الوسطى بمرحلتين هما :

١- مرحلة اباء الكنيسة وهذه المرحلة تميزت بمحاولة الكنيسة فرض ذاتها داخل حدود الامبراطورية الرومانية ولهذا سميت بحقبة تنظيم الديانة المسيحية خاصة بعد اعتناق الامبراطور قسطنطين للديانة المسيحية وامتازت بالانحطاط حتى بالنسبة الى العلوم الموروثة عن اليونانيين .

٢- مرحلة الفلسفة المدرسية وهي التي تمتد من القرن الثامن الى القرن الرابع عشر [١] .

تميز الفكر السياسي في العصور الوسطى بعدة مميزات :

١- السيطرة التامة للكنيسة على جميع المجالات ووصل بها الحال حتى التدخل في اختيار القياصرة مع رفض كل الافكار التي لا تنبع عن الكنيسة .
٢- انتشار التخلف الشديد والفقر والاوبئة والامراض .
٣- محاربة الكنيسة لكل ما هو نابع من العلوم والمعرفة (محاربة المفكرين والعلماء) وهو ما ادى الى قلة الانتاج الفكري في تلك الفترة .
٤- ظهور الحروب الصليبية (١٠٩٧ – ١٢٩١) وهي مجموعة من الحروب التي قادتها الدول الاوربية ضد المسلمين وذلك تحت راية الصليب هرباً من ضيق العيش وتقلص فرص الثروة والتزايد السكاني .
٥- ظهور الاقطاعية : وهي عبارة عن تجمع اقتصادي وسياسي تتداخل فيه الملكية الخاصة مع السيطرة العامة اي ان القوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية هي من عملت على تنمية الزراعة المحلية وساعدت الكنيسة في تحصيل الضرائب وعملت في حفظ النظام وتقديم الخدمات وتوفير الحماية العسكرية من الاعتداء الخارجية , وكانت مجرد تجمع لأفراد او دعاية يعطون ولائهم لسير اقطاعي واحد ترسل له دفعات مالية ومساعدات عسكرية ويحصل على اراضي وخدمات [٢] .
٦- وجود سلطتين الاولى هي سلطة دينية بيد القساوسة ولاخرى دنيوية وهي السلطة المدنية بيد القياصرة , مع تسجيل سيطرة كلية للكنيسة [٣].
٧- سيطرة المعتقد الديني الذي كان ظهوره وتطوره احد العوامل الاساسية في وضع نهاية للامبراطورية الرومانية .
٨- ظهور الكشوفات الجغرافية والتي اعتبرت بمثابة عصر النهضة [٤] .

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر كانت الكتابة السياسية جدلية في اساسها وتدور حول النزاع بين البابوات والاباطرة على تحديد اختصاص كل منهما اي السلطة الروحية والزمنية .

ان نقطة البدء للمتنازعين حول العلاقة بين السلطتين الزمنية والروحية في القرن الحادي عشر هي نظرية جلاسيوس المعروفة بنظرية السيفين , والتي تتلخص فيها تعاليم الاباء المسيحين , وهي التميز بين الروحيات والدنيويات ومطالب كل من الروح والجسد حيث تعتبر جزءاً هاماً من الدين المسيحي ذاته .

ان الرأي الذي كان سائداً خلال قرون عديدة ان الارادة الالهية قضت على المجتمع الانساني ان يخضع لسلطتين وهما السلطة الروحية والسلطة الزمنية يدير الاولى رجال دين ويدير الثانية رجال الدنيا , على ان تكون ادارة كل من الفئتين طبقاً للقانون السماوي والقانون الطبيعي فتقضي تعاليم الدين المسيحي بأن احداً لا يمكن ان يجمع بين القداسة والحكم [٥] .

من خلال هذه النظريات ظهرت اهمية المسيحية في مجال الفكر اضافة الى ما جاءت به من مبادئ , وهو ظهورها بعد التطور الذي حصل عليها بشكل مؤسسة عالمية تجب لها الطاعة وهذا التطور ادى الى ظهور نزاع طويل بين الكنيسة التي تمثل السلطة الدينية وبين السلطة المدنية التي تمثل الدولة نتيجة لتدخل الكنيسة في الحياة السياسية [٦] .

واذا اردنا الدقة فلم يكن هناك كنيسة او دولة بالمعنى الحديث لهذين اللفظين , فلم تكن هناك جماعة من الناس تتكون منهم الدولة ولا جماعة اخرى تتألف منهم الكنيسة , لان الناس جميعاً كانوا ينظمون الى كل منهما , فقد كان هناك مجتمع مسيحي واحد له رئيسان البابا والامبراطور ومصدران للسلطات حكم روحي يقوم به القساوسة

---

[١] () عمر الشايع , الفكر السياسي الغربي من العصور الوسطى الى عصر النهضة , دار النهضة , بيروت , ٢٠١٢ , ص١٨ .
[٢] () عمر الشايع , المصدر السابق , ص ص ١٩ – ٢٠ .
[٣] () سعيد عبد الفتاح عاشور , اوربا العصور الوسطى ,مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ١٩٩٥,ص٥.
[٤] () يحيى هويدي , قصة الفلسفة الغربية , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٣ , ص٤٣ .
[٥] () جورج سباين , تطور الفكر السياسي , ترجمة : راشد البراوي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ٢٠١٠ , ج٢ , ص١٣٢ .
[٦] () نزار الطبقجلي , الوجيز في الفكر السياسي , شركة الطبع والنشر الاهلية , بغداد , ١٩٦٩ , ص١٥٣ .

وحكم زمني يقوم به الملوك , لكن لم يكن هناك فاصل بين جماعتين او مجتمعين , وكانت هناك مشاكل تنسب بين السلطتين , حيث ان المشكلة كانت تدور حول الحدود الحقيقية للسلطة وما يستطيع كل منهما ان يفعله قانوناً , صراحة او ضمناً , داخل حدود اختصاصه , وفي حدود هذا المعنى ثار النزاع بين الكنيسة والدولة في بداية الامر وبمرور الزمن اغفل هذا المعنى تدريجياً ولم يعد يلتفت اليه خاصة بعد ان اصبحت الناحية القانونية للنزاع واضحة تماماً غير انه يجب التأكيد على ان النزاع في البداية كان بين فئتين من الرسميين لكل منهما سلطة اصلية تزعم انها تعمل في حدودها [٧] .

اما نظرية الفصل بين السلطتين فلم يسبق ابداً ان نفذت تنفيذاً فعلياً ولم يكن هناك معنى لان يفكر المرء في ان السلطتين كانتا على اتصال في تطبيقهما الدنيوي , وكانت سلطة الامبراطور على البابوية من الوجهة العامة اكثر ظهوراً وتأثيراً من سلطة البابا على الامبراطور وذلك حتى نشوب النزاع حول اختصاصات الكنيسة والدولة في القرن الحادي عشر , وقد نشأ هذا النزاع بسبب ازدياد الوعي والشعور بالاستقلال بين رجال الكنيسة ورغبتهم في جعل الكنيسة قوة روحية ذات استقلال ذاتي يتلائم مع الدعوة التي تنادي بها والتي اعترف بشرعيتها الجميع [٨] .

كانت هناك اسباب دعت الكنيسة المسيحية الى ان تطالب بإقامة دولة دينية مسيحية ومن هذه الاسباب , نهضة القرن الحادي عشر والتي تعتبر اكثر استقراراً عما سبقها من نهضات , وقد اثرت هذه التغيرات في تركيز السلطة البابوية والنظام الديني داخل الكنيسة من ناحية , كما اثرت المسيحية من ناحية اخرى .

اما الواقعة الثانية والتي زادت من رغبة الكنيسة في الاستقلال زيادة كبيرة فهي موجة الاصلاح التي اتسعت بنمو مجمع الأديرة التابعة لرئيس دير كلوني وقد انشئ هذا الدير سنة ٩١٠ . وكانت الخاصية الهامة التي تميز بها نظامه هي الاستقلال التام الذي تمتع به رجاله في تصريف شؤونه واختيار رؤسائه [٩] .

ان ظهور المسيحية كسلطة قائمة بذاتها ومستقلة عن الدولة يعتبر ثورة في تاريخ اوربا من ناحية الفكر السياسي وكذلك من الناحية السياسية ولكن ذلك لا يمكن ان يعني بالضرورة ان الافكار السياسية لدى المسيح كانت خاصة بهم كما انها لم تكن مختلفة عما نادى به غيرهم فالدافع الى قيام المسيحية دافع ديني والمسيحية مبدأ يستهدف تحقيق الخلاص , وقد تأثرت المسيحية بمجموعة من الافكار منها [١٠] .

١- الاعتقاد بوجود قانون اسمى من القانون وارفع من القانون الوضعي وهو القانون الالهي .
٢- امن رجال الكنيسة بضرورة توافر العدالة في الدولة .
٣- تأثرت المسيحية بفكرتها عن المساواة بين البشر بما قاله الرواقيون وافلاطون ومن الجدير بالذكر ان القانون الروماني دعا الى مساواة الجميع .
٤- استنكرت الكنيسة التميز بين الافراد , سواء كان هذا التفاعل منطلقاً من الجنس او المركز الاجتماعي [١١] .

ان المسيحية في بداية ظهورها لم تستطع بل ولم تحاول تغير الانظمة السياسية القائمة انذاك بل تركتها كما هي دون محاولة المساس بها , فذهب المسيحيون الى احترام السلطة القائمة , وفرضوا على انفسهم طاعة الحكم القائم , والواقع ان هذه الفكرة , فكرة طاعة الحكم هي فكرة اصلية في الديانة المسيحية , حيث انها من تعاليم السيد المسيح حيث قال " اعط ما لقيصر لقيصر , وما لله لله " [١٢] .

ان موضوع الطاعة الى السلطة السياسية القائمة بأمر الحكم ادى الى ظهور مشكلة مهمة عرفت بأسم " مشكلة الولاء " وكان المسيحي امام سلطتين متباينتين احدهما دينية وهي الكنيسة والثانية زمنية وهي الدولة فكلتاهما كانت تطلب الطاعة وكلتاهما تنشد الولاء لها [١٣] .

---

[٧] () جورج سباين , المصدر السابق , ص١٣٤ .
[٨] () المصدر نفسه , ص١٣٥ .
[٩] () جورج سباين , المصدر السابق , ص ص١٣٦-١٣٧ .
[١٠] () عبد الرحمن بدوي , فلسفة العصور الوسطى , دار القلم , بيروت , ١٩٧٩ , ص٧ .
[١١] () نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص ص ١٥٤-١٥٥ .
[١٢] () نزار الطبقجلي , المصدر السابق, ص١٥٥ .
[١٣] () المصدر نفسه , ص١٥٥ .

عموماً ان التعايش السلمي الذي سار اوربا في القرون الاولى لظهور الديانة المسيحية بين السلطتين لم يدم طويلاً لينفجر النزاع بينهما بعد ان تم انتشار الديانة الجديدة وبالتالي ازدياد عدد اتباعها وما ترتب عليه من تعاظم قوة الكنيسة [١٤] .

بدأ النزاع الفعلي بين السلطتين الدينية والدنيوية بعد ان تولى البابا جيرجوري السابع عشر البابوية سنة ١٠٧٣ فقد بدأ النزاع بين جيرجوري وهنري الرابع وكان يدور في المقام الاول حول دور الحكام الدنيويين في تنصيب الاساقفة وباقي كبار رجال الدين , وقد اصدر جيرجوري قراراً بتحريم هذا الحق عام ١٠٧٥ . وفي السنة التالية حاول الامبراطور هنري الرابع ان ينخلع جيرجوري الذي رد بحرمان هنري من رحمة الكنيسة واعفاء تابعيه من يمين الاخلاص له [١٥] , وفي سنة ١٠٨٠ حاول هنري ان يقيم رجلاً اخر يحل محل جيرجوري فرد عليه جيرجوري بان ايدرودول امير سوبيا في مطالبته بعرش هنري , وبعد موت البابا وهنري كان اهم حادث هو محاولة للتوفيق بين هنري الخامس وباسكال الثاني على اساس ان يتنازل رجال الدين عن وظائفهم السياسية وامتيازاتهم , الامر الذي ثبت استحالة تنفيذه وانتهى الدور الاول من النزاع باتفاقية رومس سنة ١١٢٢ وكانت عبارة عن تسوية تنازل بمقتضاها الامبراطور عن حقه الرسمي في لبس الخاتم وتسليم الصولجان , وهما رمز السلطة الروحية , الى الاسقف عند توليه وظيفته , ولكنه احتفظ لنفسه بالحق في ان يمنح براءة الوظيفة وامتيازاتها وان يكون له صوت في اختيار الاساقفة , ومهما كان الامر فان النزاع قد استمر بعد هذا التاريخ في فترات متباينة [١٦] .

يمكن القول بان بداية انهيار سلطة الكنيسة الرومانية بدأ بتولي فيليب الرابع المسمى بفيليب الجميل عرش فرنسا (فيليب الرابع ١٢٦٨ – ١٣١٤) حين بدأ الخلاف بين البابا وملك فرنسا عندما حاول الملك الفرنسي فرض ضرائب على رجال الدين لمواجهة احتياجات خزينة الدولة الفرنسية .

ونتيجة لذلك اصدر البابا قراراً بعدم شرعية ذلك فقام فيليب الرابع باصدار قرار يقضي بعدم تصدير الذهب والفضة خارج فرنا , وهذا القرار يعني عدم امكانية الكنائس في فرنسا ارسال الاموال الى روما , تطور الامر اكثر عندما اتهم احد رجال الدين بجريمة ضد الذات الملكية فاستغل فيليب الرابع هذا الامر وحاكم رجل الدين هذا امام محكمة مدنية وليس امام محكمة تابعة للكنيسة كما كان العرف يقضي بذلك , وحقق بذلك فيليب الرابع اول انتصار للسلطة الزمنية , وقد استطاع بعد ذلك هذا الملك ان يتدخل في الانتخابات البابوية حيث تم انتخاب رئيس للأساقفة سنة ١٣٠٥ , انتقل مركز البابوية في زمن هذا البابا (بتأثير من فيليب الجميل) الى مدينة افينيون الفرنسية وبقيت مركزاً للديانة المسيحية حتى عام ١٣٧٧ . ويعتبر عهد الملك فيليب الرابع بداية انهيار السلطة الروحية وسمو السلطة الزمنية حتى بقاء البابوية في فرنسا , تطور الامر اكثر عندما ظهر بابا جديد في روما بالاضافة الى بابا فرنسا فنشب الخلاف بين الطرفين وقد بدأت منذ ذلك الحين بوادر الاصلاح تظهر من عدة مفكرين [١٧] .

نظرت الكنيسة الى مؤلفات ارسطو على انها توصم بالكفر اول ما جاءت الى اوربا المسيحية عن طريق المصادر العربية واليهودية وكانت الكنيسة تميل الى تحريمها وفعلاً حرمت قراءتها في جامعة باريس عام ١٢١٠ ولكن بالرغم من ذلك فان التحريم لم يكن قط ذا اثر فعال . لذلك عمدت الكنيسة بحكمة الى التجديد بدلاً من منعها وليس هناك دليل على قوة التفكير عند المسيحية في القرون الوسطى انصع من سرعة تقبل مؤلفات ارسطو التي لم تقف عند هذا الحد بل تعدته الى جعل هذه الكتابات حجر الزاوية في الفلسفة الرومانية الكاثوليكية ففي اقل من قرن من الزمان انقلب ما كانوا يخشونه ويعتبرونه بدعة ضد المسيحية الى شيء جديد يرجى ان يكون مذهباً دائماً لفلسفة تصطبغ بالصبغة المسيحية وقد قام بهذا العمل جماعات ومن ابرز المفكرون في العصور الوسطى واشهرهم [١٨] .

المبحث الثاني : - ابرز مفكري العصور الوسطى

---

[١٤] () سعيد عبد الفتاح عاشور , المصدر السابق , ص ١٢ .
[١٥] () منذر الشاوي , فلسفة الدولة , دار ورد الاردنية , الاردن , ٢٠١٢ , ص٥٩٥ .
[١٦] () جورج سباين , المصدر السابق , ص ص١٣٩-١٤٠ .
[١٧] () نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص ص١٦٢ – ١٦٣ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور , المصدر السابق , ص٢١ .
[١٨] () جورج سباين , المصدر السابق , ص١٥٩ .

اولاً : توماس لأكويني

ولد الأكويني في عام ١٢٢٥ او ما يقارب من عائلة ايطالية نبيلة في روكاســيا قرب اكويفو , وكان قد قرر وهو طالب بعد في جامعة نابولي الناشـئة ان يلتحق بالرهين الدومينيكانية . ولم يبال باعتراض ذويه على قراره , اذ على الذهاب الى باريس حيث تتلمذ على ابرز الثقافات الدومينيكانية مثلاً (البرتوس ماغوس) , وكان البرتوس ملماً الماماً واسعاً بكل الثقافات والفلسفات اليونانية والرومانية والعربية المعاصرة له . كما كان قد وضع عدة شروح على جميع كتب ارسطو المعروفة , وبعدها تشبع لأكويني بكل معارف البرتوس اقتفى اثره في امتهان التعليم الجامعي[١٩] , فعلم في جامعات كولون وروما ونوبولي فضــلاً عن باريس , كما اختير للخدمة في البلاط البابوي وقد توفي قبل ان يبلغ الخمسـين من عمره مخلفاً مجموعة وافرة من الكتابات حول المواضــيع اللاهوتية والفلسـفية , واسـلوبه في هذه المؤلفات هو الاسـلوب المدرسـي الكلاسـيكي الذي يتوسـع في البحث على اسـاس تواصل الفرضيات والاعتراضات .

يجمع اغلب الباحثون على ان القديس لأكويني هو اعظم الفلاسـفة المسـيحيين قاطبة ولا يضـره ان يكون من كتاب العصـور الوسـطى قد استشـرقوا منن قبله بعض افكاره , اذ انه اعطى الحضـارة المسيحية فلسفة متناسقة وعقلانية لم تعرف من قبل لها مثيلاً , وباتت فلسفته منطلق كل التأملات المسيحية اللاحقة وخصوصاً الكاثوليكية.

كان المجرى الرئيسي للتفكير المسيحي قبل ان يدأ لاكويني تعليمه في اواسط القرن الثالث عشر , يسير باتجاه معاداه العقلانية اذ لم يعادي الفلســفة عموماً , فانطلاقاً من اعتبار الدين قائماً على الايمان , اعتبر العقل عدوه المميت وقد شرع لاكويني بالتوفيق بين الايمان والعقل عاملاً على التاليف بين الوحي المسيحي والفلسفة اليونانية [٢٠] , ولا سيما ارسطو الذي كانت معرفته قد انتشرت في واربا بفضل الدارسين العرب بطريقتين:

١- مؤلفات عرب الاندلس وعلى الاخص مؤلفات ابن رشد .
٢- حركة الترجمة الى اللاتينية والتي ساهمت بترجمة مؤلفات وقد استفاد لاكويني فائدة كبيرة من مؤلفات ارسطو في التوفيق بين تلك الآراء وبين مبادئ الدين المسيحي , كان يعتقد ان الدين المسيحي صحيح ولكن ليس كل الصحة [٢١] . فهو صــحيح طالما كان متماشــياً مع المنطق الانســاني بدون التجاء المبادئ الايمان المســيحي , والايمان المسيحي في رأي لاكويني لم يلغ المذهب الارسطي , بل هو قد اتم واكمل الاجزاء الناقصة به [٢٢] .

كانت فلسفة توماس في صميمها عبارة عن تجربة القصد منها اقامة نظام عام وشامل مفتاحه الوفاق والتنسيق . فعنده ان الألة والطبيعة اكبر واغنى من ان يضـيقا بإيجاد محراب يسـع كل الخلائق التي تنتاب وجودنا المحدود وعنده ايضـاً ان علوم الانسـان تكون وحده , كما ان هناك علوم معينه كل منها يختص بموضـوع معين , العلوم فسيحة واسعة المدى ولكنها اقل تعميماً وفوق هذه العلوم علم الفلسفة , وهو نظام عقلي يسعى لوضع مبادئ عامة مســتمدة من جميع العلوم , يأتي بعد هذا علم اللاهوت المســيحي وهو علم يعلو على العقل ويعتمد على الوحي الالهي , وبذلك يأتي هذا النظام في القمة , ولكن على الرغم من ان الوحي يعلو على العقل فانه لا يتعارض مع العقل باي حال من الاحوال , كما يرى ان الايمان متمم لله وهما معاً مصدرا العلم والمعرفة ولا يصطدمان , طرح لاكويني مجموعة من الافكار حيث كانت له وجهات نظر متعددة في عدة جوانب اهمها [٢٣] :

١- الدولة عند توماس لاكويني .

استند لاكويني في هذا المجال الى تعريف شـيشـرون للشـعب حيث قال عنه بأنه ((كثرة منظمة تخضـع لقانون عادل يرتضيه الافراد ابتغاء تحقيق منفعة مشتركة))، ويرى ان كل جماعة تحتاج الى سلطة تقوم بقيادتها لتحقيق اغراضها , فالسلطة ضرورية ولا يمكن وجود هذه الكثرة دون سلطة , كما يرى ان غاية الاجتماع ليس الاستمتاع بل استكمال الفرد الانسانية وتحقيق غايته بما هو انسان , فمهمة الدولة معاونته على ذلك[٢٤].

---

[١٩]() موريس فرادوارد , موسوعة مشاهير العالم (اعلام الفكر السياسي) , دار الصداقة العربية , بيروت , ط١ , ٢٠٠٢ , ص٢٨ .
[٢٠]() المصدر نفسه , ص٢٩ .
[٢١]() نزار الطبقجلي , المصدر السابق . ص١٨٦
[٢٢]() المصدر نفسه , ص ١٨٧ .
[٢٣]() جورج سباين , المصدر السابق , ص١٦٠ .
[٢٤]() نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص١٨٧ .

وبالنتيجة يرى لاكيوني ان الدولة هي ظاهرة طبيعية اقتضتها طبيعة الحياة الانسانية , وتتمثل في انها تنظيم ارتضاه الافراد بحريتهم للعيش سوية , ان هذا التنظيم يتطلب وجود سلطة قائمة بذاتها بأمر الحكم لتحقيق اهداف الافراد بالسعادة , وهو بذلك يتفق مع ارسطو في هذا المجال , لكنه نتيجة تأثير بالمسيحية , يذهب الى ان مصدر السلطة هو الله [٢٥] .

٢- انظمة الحكم عند توماس لاكويني .

اتفق لاكويني مع ارسطو في تقسيمه للحكومات من حيث الفضيلة , كما اتفق معه في موضوع النسبية في انظمة الحكم السياسية وانتهى به الامر الى تفضيل النظام المختلط فأقام حكومته على خلاف ارسطو وتماشياً مع شيشرون على الاخذ بالنظم الثلاثة , وهي الملكية والارستقراطية والديمقراطية , ويرى ان هذه الانظمة هي الصالحة , اما الانظمة الفاسدة فهي الاستبدادية والغوغائية , وهذه الانظمة هي الوجهة الثاني للثلاثة الاولى [٢٦] .

يرى لاكويني ان الملكية هي افضل من الارستقراطية , ولارستقراطية افضل من الديمقراطية (او حكومة الشعب العادي) وهو بذلك يذهب الى النظام الملكي لأنه يرى انه الاكثر تطابقاً مع الشعب ولكن هذا النظام كما يرى ان يبتعد عن جادة الصواب وبالتالي ينحرف الى الاستبداد ولهذا فان النظام المختلط افضل انواع الحكومات على الاطلاق [٢٧] ملكية معدلة بارستقراطية او ديمقراطية .

٣- طبيعة القانون عند توماس لاكويني .

عرفه لاكويني على انه تنظيم عقلي للعلاقات في المجتمع يضعه ويصدره السلطان بقصد تحقيق الخير العام [٢٨]. كما رأى لاكويني ان الانسان عندما ارتضى العيش في مجتمع منتظم قصد ان يخضع لقانون عادل , ولقد بلغ من تبجيله للقانون انه اعتقد ان سلطة هذا القانون اصيلة كاملة فيه وليس من عمل الانسان واتجهت جهوده المتواصلة الى التدليل على وجود علاقة وثيقة بين القانون السماوي والقانون الانساني , ولم يدفعه الى بذل الجهد في ذلك رغبة في التوفيق بين الاثنين فحسب , وانما اعتقاده كذلك بان القانون شيء اوسع المدى وليس مجرد وسيلة لتنظيم العلاقة بين الناس بعضهم ببعض , فالقانون عنده جزء لا يتجزأ من نظام الحكم الالهي الذي يسهل على كل شيء في السماء والارض , بل كان يعتبره قبساً من حكم الله ينظم العلاقات بين الجميع من المخلوقات الحي منها وغير الحي والانسان والحيوان [٢٩] .

لقد قسم لاكويني القانون الى عدة اقسام منها اولاً القانون الازلي وهو عبارة عن الوضع الازلي للحكمة الالهية التي تنظم الخليقة كلها , ويسمو هذا القانون في ذاته على الطبيعة البشرية , ويعلو في جملته على مستوى فهم الانسان , وبالرغم من ذلك فهو لا يعد غريباً عن ادراك الانسان او مضاداً لفهمه [٣٠] .

اما القانون الثاني فهو القانون الطبيعي والذي يمكن وصفه بانه انعكاس للحكمة الالهية في المخلوقات , وهو يتجلى فيما تخرسه الطبيعة في سائر الكائنات الحية من ميل نحو فعل الى تجنب البشر , وحماية النفس وتجنب الشر وهو يتفق مع ارسطو الذي يذكر ان الانسان يرغب في حياة ذات طبيعة متزنة ومعقولة [٣١] .

ذكر توماس لاكويني القانون الثالث وهو القانون الالهي فقد وصل به الى حدود ما يمكن ان يسمى العقل الطبيعي , كما ان موقفه من ذلك كان فريداً في بابه , فالقانون الالهي في نظره هو الوحي او التبليغ ولقد ضرب لذلك مثلاً الشريحة الخاصة التي انزلها الله على اليهود , ولذلك فالقانون الالهي نعمه من نعم الله وليس من عمل العقل الطبيعي ولم يكن من المتوقع ان يقلل توماس من اهمية القانون المسيحي الذي جاء عن طريق الوحي , غير

---

[٢٥] () حسن شحاته سعفان , تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعي , دار النهضة , ط٣ , ١٩٥٦ , ص١٤٧ .
[٢٦] () نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص١٨٨ .
[٢٧] () المصدر نفسه , ص١٨٩ .
[٢٨] () مصطفى فاضل كريم الخفاجي , فلسفة القانون عند ارسطو , مركز الدراسات الحضارية والتاريخية , جامعة بابل , مج ٤ , العدد٢ , ص ٣٤٧.
[٢٩] () جورج سباين , المصدر السابق , ص ص ١٦٣-١٦٤ .
[٣٠] () حسن شحاته سعفان , المصدر السابق , ص ١٥٢ .
[٣١] () جورج سباين , المصدر السابق , ص١٦٥ .

انه حرص كثيراً على الا يوسع الفجوة بين العقل وبين هذا القانون, والنظام الذي وصفه يقوم على العقل والايمان وان كان لا يشك في انها نسيج واحد [٣٢] .

يصعب تعين المدى الذي كان يقبل لاكويني التسليم به في ما بات يسمى لاحقاً بحق الثورة ضد الطغيان . لكن من الواضح ان لاكويني لم يكن يقيم اي اعتبار الا للتعقل في قبول الناس لحكم الطاغية , وكان يعتبر التعقل والحصانة اساسا في الحياة السياسية [٣٣] .

٤- نظرية الى العلاقة بين الحاكم والمحكومين عند لاكويني

فرق لاكويني بين نوعين من مخالفات السلطة الزمنية , مخالفات ثانوية ومخالفات جوهرية تتعارض مع احكام القانون الطبيعي والقانون الالهي فيما يتعلق الامر بالمخالفات من النوع الاول فهي لا تؤدي الى عدم طاعة الحاكم , لانه من الافضل للمجتمع احتمال الحاكم المستبد على الثورة عليه لما قد يترتب على نجاحها من فتن واضطرابات او قد تفشل فينتقم الحاكم من الشعب , اما اذا كانت المخالفات جوهرية , فمقاومة الاستبداد او الحالة هذه بالثورة ليست حقاً فقط بل واجباً على الافراد [٣٤] .

ثانياً – الجيري دانتي ١٢٦٥ – ١٣٢١ .

دافع دانتي عن الامبراطورية واستقلالها الامبراطور ضد السيطرة البابوية واعتبرها فوق سلطة البابا , وقد كان دانتي على خلاف مع توماس الاكويني في هذا المجال .

ان فلسفة دانتي السياسية تاثرت بنفية من فلورنسا نتيجة للمشاحنات السياسية والنزاع الانهائي الذي استمر طيلة حياته بين الاحزاب البابوية والامبراطور في ايطاليا , وفي وسط هذه الازمة رأى ان لا امل في سلام ما لم توحد الامبراطورية تحت سلطة كاملة يرأسها الامبراطور . وما كان تعصبه لفكرة الموحدة إلا لتمجيد نظرية السلام العام , كما رأى ان سياسة البابا مصدر نزاع لا نهاية له [٣٥] .

رأى دانتي والذي اتحدت سياسته في الهدف مع السياسية التي اعتنقها الموالون للامبراطورية ان سلطة الامبراطور مستمدة من الله مباشرة , وهي بذلك مستقلة عن الكنيسة لقد اعترف دانتي بسلطة البابا الروحية اعترافاً كاملاً , لكنه ككل الموالين للامبراطورية تمسك بنظرية جلاسيوس التي تقول بانه لا يملك السلطتين متحدتين سوى الله ولذلك فليس هناك من البشر من يعلو على الامبراطور , وقد عرف السلطة الزمنية بانها السلطة التي تحكم جميع المخلوقات الدنيوية [٣٦] , كما رأى ان البابا له الحق على الامبراطور مثل حق الاحترام والتقدير باعتباره المسؤول عن قيادة الافراد وانارة الطريق امامهم نحو العالم الابدي [٣٧] .

ثالثاً - مارسيلو دي بادو ١٢٧٥ – ١٣٤٣ .

عاش مارسيليو بادو في الفترة الممتدة من سنة ١٢٧٥ – ١٣٤٣ م , حيث درس الطب, اضافة الى دراسة الفلسفة والقانون واللاهوت وعاش في مدينة بادو الايطالية والتي عرفت بحرية سكانها ودفاعها عن نفسها ضد رجال الدين وكان مارسيلو بادو ينتمي الى الطبقة الوسطى ونتيجة دراسته للطب اضافة له نزعة النقد العلمي الحر , اضافة الى تأثيره بأرسطو من خلال ايمانه القوي بالملاحظة التجريبية في الفلسفة ومبدأ دولة المدينة في السياسة , كما ساعدته اقامته في فرنسا , اذ عمل في التدريس في جامعة فرنسا (باريس) على صياغة اتجاه الفكري وكانت باريس قد اصبحت الرائدة في ميادين الفلسفة والادب كما كانت مركزاً للحركات والافكار العلمانية التي تهاجم وتنتقد سلطة البابوية [٣٨] وبهذا اصبح مارسيلو يمثل الاتجاه الفكري الجديد في العصور الوسطى .

المعلومات المتوفرة عن حياة مارسيلو دي بادو قليلة جداً , وعلى كل حال فقد استلم منصب رئيس جامعة باريس لمدة ثلاثة اشهر اخطر بعدها ترك هذا المنصب نتيجة لمحاربة الكنيسة له في مؤلفة (المدافع عن السلم) يهاجم

---

[٣٢]() جورج سباين , المصدر السابق , ص١٦٥.
[٣٣]() موريس فرادوارد , المصدر السابق , ص٣٢ .
[٣٤]() نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص١٩١ .
[٣٥]() جورج سباين , المصدر السابق , ص ص١٦٩ – ١٧١ .
[٣٦]() المصدر نفسه , ص ١٧١ .
[٣٧]() نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص١٩٣ .
[٣٨]() صالح محمد غانم , الفكر السياسي القديم والوسيط , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , ٢٠٠١ , ص٢٠٦ .

الكنيسة المسيحية , والكتاب محاولة منه للحد من السلطة السياسية لكنيسة او سلطة البابا وموقف الكنيسة الاستغلالي وفي الوقت نفسه يعتبر اول من نادى في العصور الوسطى بالملكية المقيدة [٣٩] .

ان اراء مارسيلو جاءت وليدة النظام الذي قامت عليه الحكومات في دور المدينة الايطالية , وتناولت مناقشاته للمسائل العلمية مشاكل هذا النوع من الحكم , فهو كإيطالي محب يكره البابوية كما تراها من قبله دانتي دون ان تكون به حاجة في هذه الكراهية الى تشجيع المانيا , وكمواطن من اهل باروا كان لا يشعر بعطف نحو الامبراطورية الا بقدر ما تمليه عليه مصلحة تلك المدينة وعدوانية للبابوية باعتبارها اسباب تفكيك ايطاليا , ولم يؤلف مارسيليو كتابة (المدافع عن السلام) دفاعه عن الامبراطورية , وانما رغبة منه في هدم نظام السيطرة البابوية الذي يتمثل كأهداف ما يكون التمثيل في تصرفات البابا انوست الثالث . وكان هدف مارسيليو هو اتوصل الى تحديد دقيق فعال لما تدعيه السلطة الروحية من حق في السيطرة بطريقة مباشرة او غير مباشرة على اعمال الحكومات الزمنية [٤٠] .

ان الاساس الفلسفي لنظرية مارسيليو مأخوذ من ارسطو حيث يذكر ان هناك سبب اخر دفعه للكتابة لابد وان يكون غائبا عن نطاق تفكير ارسطو , ذلك هو ادعاء البابوات , خصوصاً اولئك الذين تولوا البابوية اخيراً , بحقهم في الهيمنة على الحكام الزمنين وهو الادعاء الذي اشاع المشاكل والفرقة في اوربا , وفي ايطاليا بوجهة خاص فكان مارسيليو يسعى الى ايجاد علاج لهذا الخلط والفوضى , وقد كان لمارسيليو عدة اراء اهمها [٤١]

١- رأي مارسيليو دي بادو في الدولة

لقد نهج مارسيليو على منوال ارسطو في ان المشروع في الدول لا يمكن ان يكون الشعب في مجموعة او الجزء الغالب من الشعب والذي يعلن ارادته العامة للمواطنين , وبالتالي ضمن اصدار القوانين لأنه ان يكون الا للشعب , فالقانون اذن برأيه هو عمل من اعمال الجماعة لغرض تنظيم حياة الافراد فالشعب مصدر سواء باشرها بنفسه ام احالها للإمبراطور [٤٢] .

سار مارسيليو على نفس التعريف الذي عرف به ارسطو الدولة بأنها (كائن حي) يتركب من اعضاء تقوم بالوظائف الضرورية اللازمة لحياته , وتتوقف صحة هذا الكائن او امنه على النظام الذي يؤدي به كل عضو وظيفته وينشأ الشقاق اذا اختل عمل احد الاعضاء او تتدخل في عمل عضو اخر . كذلك هو يتبع الرأي القائل ان المدينة هي الاسرة او مشتقة من الاسرة , وعنده ان المدينة مجتمع كامل او هي مجتمع قادر على ان عبارة حياة طيبة ذات معنيين فالاولى نطاق دراسة الفلسفة المبني على العقل والمنطق , والثاني فتعتمد على الوصي ومصدرها الايمان .

يذكر ان العقل ثبت ضرورة قيام حكومة مدينة كوسيل لأقرار الأمن والسلام ولكن هناك حاجة ايضاً الى الدين كما لوجوده من فوائد في الحياة الدنيا لأنه الوسيلة للنجاة من العذاب في الاخرة , كذلك يتوافق مع ارسطو في نظرية للطبقات [٤٣] .

٢- رأي مارسيليو دي بارو في الكنيسة ورجال الدين

يرى مارسيليو دي بارو ان رجال الدين غالباً ما تكون ايديهم خالية من اي مسلطة وبالتالي اذا كان قد اجيز لهم ممارسة مثل هذه السلطة وكان القانون الكنيسي هو الذي ينظم جانباً كبيراً من هذه العلاقات المهمة بين الافراد فأنهم انما يعملون بتفويض من السلطة المدنية . فيجب على رجال الدين , وهم مجرد طائفة اعتزلت بنفسها القيام بالواجبات الدينية ' ان يخضعوا للنظام كأي طائفة اخرى , وان يتخضعوا كما يخضع المواطنون العاديون للمحاكم المدينة , اذا ما انتهكو حرمة القانون الوضعي [٤٤] .اما بخصوص املاك الكنيسة فهو يرى انه لا يجوز ان يقال للكنيسة املاك لأن ما تملكه ليس الا منحة او معونه من المجتمع لأعانتها في النهوض بمهامها الروحية , وليس من حقها

---

[٣٩] () صالح محمد غانم , المصدر السابق , ص ص ٢٠١ – ٢٠٢ .
[٤٠] () جورج سباين , المصدر السابق , ص ٢١٣ – ٢١٤ .
[٤١] () المصدر نفسه , ص٢١٤ .
[٤٢] () صالح محمد غانم , المصدر السابق , ص٢٠٧ .
[٤٣] () جورج سباين , المصدر السابق , ص٢٢٢ .
[٤٤] () صالح محمد غانم , المصدر السابق , ص٢٠٧ .

جباية الضرائب حيث قسمت الارض في عهد الكنسية الى ثلاث اقسام وهي ارض مملوكه وارض و ارض مستأجره وارض مشاع [٤٥] .

المبحث الثالث

مقارنة بين مفكري العصور الوسطى والقديمة

يعد كل من افلاطون وارسطو وشيشرون من ابرز مفكري العصور القديمة في حين يعد توماس لاكويني ودانتي ومارسيليو دي بادو من ابرز فلاسفة ومفكري العصور الوسطى . لذلك سنحاول مقارنة افكار كل من هؤلاء للوقوف على اوجه الاختلاف والشبه بين هذه الافكار .

١- **مفهوم الدولة** : يذهب افلاطون الى القول ان السبب في قيام الدولة يعود الى الحاجة فالجماعات قد ظهرت نتيجة للحاجة البشرية الكثيرة والتي لا يمكن الوصول الى اتباعها الا حين تتحقق فكرة الاجتماع ويكمل الناس بعضهم بعضاً , فان عجز الفرد عن القيام بإيفاء نفسه اغراضها (اي فكرة عدم امكانية الفرد ان يحقق لنفسه الاكتفاء الذاتي وحاجته اتلى الاخرين وحاجة الاخرين له) هو الاساس في نشوء الدولة [٤٦] .

اما ارسطو فقد رأى ان امر نشؤ الدولة يرجع الى الحاجة الطبيعية اي ان الطبيعة املت على شخصين من جنسين مختلفين ان يجتمعا , الاجتماع من اجل الانجاب . كما يذكر ان من اجتماع عدة اسر تكونت القرية ,وعلى ذلك فالدولة عنده ضرورة طبيعية لوجود الفرد وتكونت من اجتماع عدة قرى , اما الاكتفاء الذاتي فلا يتحقق الا داخل نطاق الدولة . ويذكر الى ان الدولة سابقة على الفرد لان الدولة هي الكل والفرد جزء , فلو نظرنا الى جسم الانسان لرأينا ان جميع الاعضاء المكونة له متصلة بالجسم , فلا يعقل ان نرى يداً مستقلة عن الجسم الانساني [٤٧]

اما بالنسبة الى شيشرون فقد رأى ان قيام الدولة يأتي من ظاهرة متعلقة بالإقليم ظاهرة طبيعية او جغرافية مكان ما تم اختياره , تكاثرت فيه عدد الاسر , ظهور موقع قام الانسان بتحسينه بالعمل المستمر , ومن هذه القرى الصغيرة تكونت لدينا المدينة ومن هذه المدينة تكونت الدولة .

فقيام الدولة ليس بحادث خيالي او تصوري ولكنه واقعة تأريخيه , عندما تكونت المدينة انبسط نفوذها على مايجاورها . السلطة الدائمة تصبح والحالة هذه امر ضروري بين افراد المجموعة المكونة للدولة , وان دور منشئ الدولة هو دور مهم . وبذلك فان الدولة عند شيشرون تحمل طابع العمل الجماعي [٤٨] .

بالعودة الى العصور الوسطى نرى ان توماس لاكوبيني استند في تعريفة للدولة الى شيشرون الذي عرف الشعب او الدولة بالقول (هو مجموعة كبيرة من الافراد تشترك بالانتماء الى قانون واحد وتجمع بينهما مصالح مشتركة) , (كثرة منظمة[٤٩] خاضعه لقانون عادل يرتضيه الفرد ابتغاء منفعة مشتركة) .

اما بالنسبة الى مارسيليو بادو فقد نهج على منوال ارسطو في تعريفه للدولة بأنها كانت في يتركب من مجموعة من الاعضاء , وكذلك سار على نفس نهجه في ان المدينة هي الاسرة , وان المدينة مجتمع كامل قادر على ان يوفر لنفسه كل ما يحتاج اليه[٥٠].

٢- **انظمة الحكم :-**

يرى افلاطون ان النظام الأرستقراطي الذي اقامة لمدينته الفاضلة هو النظام الاكمل والامثل , ويذهب الى القول ان الانظمة الاخرى تتولد الواحدة تلو الاخرى نتيجة تدهور مستمر بشكل تدهور مستمر من الناحية الخلقية.

---

[٤٥]() هنري بيرن , تاريخ اوربا في العصور الوسطى , ترجمة : عطيه القوصي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٩٦, ص ٦٥ .

[٤٦]() جورج سباين , المصدر السابق , ص ص١٢٨ – ١٢٩ ؛ عبد الغفار مكاوي , قراءة القلب افلاطون , دار الهلال , ١٩٨٧ , ص ٦٦

[٤٧]() نزار الطبقجلي و المصدر السابق ,ص ص٩٦ – ٩٧ .

[٤٨]() عمر عبد الحي , الفكر السياسي في العصور القديمة الاغريقي –الهلنستي – الروماني , مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر , بيروت , ٢٠٠٦ , ص٣٤٤ – ٣٤٥ .

[٤٩]() جورج سباين , المصدر السابق , ص١٦٠ , نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص١٨٧ .

[٥٠]() صالح محمد غانم , المصدر السابق , ص٢٠٧ .

ضمن النظام الارستقراطي يتولد النظام التيموقراطي ومن هذا النظام يتولد النظام الاوليجارشي فنصل الى النظام الديموقراطي ومنه يتولد النظام الاستبدادي [٥١] .

كقاعدة عامة يقول افلاطون ان التغيرات التي تحدث لاي نظام من انظمة الحكم تنشأ بدون استثناء في الهيئة الحاكمة لذلك النظام , عندما تصبح تلك الهيئة موطناً للخلاف . وما دامت تستمر متحدة فلا يمكن ان تكون موضعا للتربح . كذلك يرى ان المثالية السياسية يجب ان تتجسد في ارادة الحاكم العاقل [٥٢] .

اما ارسطو فيرى ان هناك ثلاثة اشكال من انظمة الحكم الصالحة وهي :-

١- النظام الملكي .
٢- حكم الاعيان (الأرستقراطي) وهو الحكم الذي تتولاه اقلية تتجاوز الفرد .
٣- النظام الجمهوري او الديمقراطي المعتدل : وهو حكم الجمهور الذي لا يميز بين المواطنين من مختلف الطبقات في المجتمع , ويهدف الى المصلحة العامة ويفضل ارسطو النظامين الملكي والاعيان [٥٣].

ويرى شيشرون ان افضل هذه الانظمة هو النظام الملكي لأنه يركز السلطة في هيئة واحدة ويليه النظام الارستقراطي , اما الديمقراطية فيذكر انها سوء الانظمة السياسية [٥٤] .

اما بالنسبة الى انظمة الحكم عند مفكري العصور الوسطى , فقد اتفق لاكويني مع ارسطو في تقسيمة الى الحكومات من حيث الفضلة كما اتفق معه في موضوع النسبة في انظمة الحكم واخيراً اختلف مع ارسطو في مسألة الاخذ بالنظم الثلاثة تماشياً مع شيشرون وهي الملكية ولأرستقراطية والديموقراطية . حيث يرى ان النظام الملكي هو افضل من الارستقراطية والذي بدوره افضل من الديمقراطي [٥٥]

٣- القانون :-

كان افلاطون يؤمن بحكومة الفلاسفة وبالحكم المطلق المتميز الذي لا تتقيد فيه يد الحكم بأحكام القانون . لكننا نجده في عهد مشيبه اصبح يعتنق مبدا سيطرة احكام القانون , وبعبارة اخرى اننا نجدة في اواخر ايام حياته قد اصبح يرى ان الدولة المثالية يجب ان يسود فيها حكم القانون الذي يجب ان يخضع له على السواء المحكرون والحاكمون . اما بالنسبة الى ارسطو فقد وضح اسس للدولة اهمها :

١- قيام الحكم فيها على اساس مبدأ سيادة القانون , وعلى ذلك فالحكم يمكن ان يكون الا لمبادئ سيادة القانون وليس لإرادة فردية .
٢- اعتبر ان دولة القانون اسس صور التنظيم السياسي فأعطاها صفات التخوف على ما عداها من نظم الحكم الاخرى [٥٦] .

اما بالنسبة الى نظرة مفكري العصور الوسطى للقانون :

فقد رأى توماس لاكويني : ان الانسان عندما رغب العيش في مجتمع معين فأنه رغب او رضى لنفسه ان يخضع لسلطة القانون وهو بذلك يتفق مع كل من افلاطون وارسطو بضرورة سيادة القانون , كما ذكر ان سلطة القانون لابد وان تكون اصيلة في كل انسان , واوضح ان هناك علاقة وثيقة بين القانون السماوي والقانون الانساني , وقد قسم القانون الة اقسام منها القانون الازلي , والقانون الطبيعي والقانون الالهي والتي تم توضيحها في الصفحات السابقة [٥٧] .

اما مارسيليو بادو :

---

[٥١]() مؤيد بركات حسن , الفكر السياسي في الفلسفة اليونانية بين افلاطون وارسطو دراسة مقارنه , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٨ , ص١٢٧ .
[٥٢]() نزار الطبقجلي , المصدر السابق , ص٧٠ – ٧١ .
[٥٣]() عمر عبد الحي , المصدر السابق , ص٢٣٤ .
[٥٤]() المصدر نفسه , ص١٨٨ -١٨٩ .
[٥٥]() عبد المجيد متولي , الوجيز في النظريات والانظمة السياسية ومبادئها الدستورية , دار المعارف , مصر , ١٩٥٩ , ص٤٠ – ٤١ .
[٥٦]() صالح محمد غانم , المصدر السابق , ص١٠٧ .
[٥٧]() جورج سباين , المصدر السابق , ص١٦١ – ١٦٢ , حسن شحاته , المصدر السابق , ص١٥٢ .

فقد قسم القانون في كتابة (المدافع عن السلام) الى اربعة انواع بالرغم من ان اهم ما ذكره في هذا الموضوع هو التفرقة المزدوجة بين القانون السماوي والقانون الانساني الوضعي .

فالقانون السماوي : هو شريحة صادرة من الله مباشرة , ويعتبر تدخل الانسان في شأن ما يقوم به الناس من الاعمال الاختيارية او التي يتعين عليهم ان يتجنبوها في هذه الدنيا لكي يفوزوا بالعاقبة الحسنة . اما القانون الوضعي : فهو من عمل المواطنين جميعاً او اغلبيتهم وهو عصارة تفكيرهم من يملكون سلطة التشريح , ثم هو يعالج الاعمال الاختيارية التي يتعين على الانسان ان يؤديها او يتجنبها لكي يفوز بالسعادة في الدنيا , نجد من خلال ذلك ان مارسيليو بادو يرى ضرورة الالتزام بالقوانين الانسانية والالهية وهو بذلك يتعين مع كل من افلاطون وارسطو من مفكرين العصور القديمة [٥٨] .

الخاتمة

تعد العصور الوسطى في بدايتها هي عصر سيطرة الكنيسة على اغلب مفاصل الحياة , فقد حاولت الكنيسة في بداية تلك العصور ان تلعب مختلف الادوار حتى اصدار القرارات المهمة وقيادة المعارك وابرام المعاهدات وغير ذلك , الا ان هذا الدور لم يستمر طويلاً نتيجة الصراع بين السلطتين الزمنية والروحية , حيث تمكنت السلطة الروحية في نهاية المطاف من فرض سيطرتها على كل مفاصل الحياة واخضاع الكنيسة لسيطرتها , وهذا الامر بحد ذاته يعد انتصاراً لسيطرة الامبراطورية على سلطة الكنيسة بعد بروز الافكار التي تطالب بإلغاء سيطرة الكنيسة , فتمكنت تلك السلطة الزمنية من وضع كل مفاصل الحياة تحت سيطرتها وقد وضع ضمن هذه السيطرة الكنيسة ومن تبع لها .

قائمة المصادر

١- جورج سباين , تطور الفكر السياسي , ترجمة : راشد البراوي تقويم : محمد عبد الصخر نصر , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ٢٠١٠ .
٢- حسن شحاته سعفان , تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية , دار النهضة , ط٣ , ١٩٥٦ .
٣- صالح محمد غانم , الفكر السياسي القديم والوسيط , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , ٢٠٠١ .
٤- عبد الحميد متولي , الوجيز في النظريات والانظمة السياسية ومبادئها الدستورية , دار المعارف , مصر , ١٩٥٩.
٥- عبد الرحمن بدوي , فلسفة العصور الوسطى , دار القلم , بيروت , ١٩٧٩ .
٦- عبد الغفار مكاوي , قراءة القلب افلاطون , دار الهلال , ١٩٨٧ .
٧- عمر الشايع , الفكر السياسي الغربي من العصور الوسطى الى عصر النهضة , دار النهضة , بيروت , ٢٠١٢ .
٨- عمر عبد الحي , الفكر السياسي في العصور القديمة الاغريقي – الهلنسي – الروماني , مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر , بيروت , ٢٠٠٦ .
٩- مصطفى فاضل كريم الخفاجي , فلسفة القانون عند ارسطو , مركز الدراسات الحضارية والتاريخية , جامعة بابل , مج ٤ , العدد٢ .
١٠- منذر الشاوي , فلسفة الدولة , دار ورد الاردنية , الاردن ٢٠١٢ .
١١- موريس فراد وارد , موسوعة مشاهير العالم (اعلام الفكر السياسي) دار الصداقة العربية , بيروت , ط١ , ٢٠٠٢ .
١٢- مؤيد بركات حسن , الفكر السياسي في الفلسفة اليونانية بين افلاطون وارسطو دراسة مقارنه , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٨ , ص١٢٧ .
١٣- نزار الطبقجلي , الوجيز في الفكر السياسي , شركة الطبع والنشر الاهلية , بغداد , ١٩٦٩ .
١٤- يحيى هويدي , قصة الفلسفة الغربية , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٣.
١٥- سعيد عبد الفتاح عاشور , اوربا العصور الوسطى ,مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ١٩٩٥.
١٦- هنري بيرن , تاريخ اوربا في العصور الوسطى , ترجمة : عطيه القوصي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٩٦ .

[٥٨]() جورج سباين , المصدر نفسه , ص١٢٨ .